العرب
الثلاثاء 2020/01/21
السنة 42 العدد 11593

الواقع الأدبي المريض أفرز كتّابا مثل آلات الطباعة والنسخ

الروائي الجزائري كمال بركاني: لا أؤمن بقارئ كسول

التعريب أفسد التنوع الثقافي (لوحة للفنان عماد أعروص)

الهامش له تأثيرات عميقة في مسارات الكتاب والروائيين والشعراء، قد تكون سلبية أو إيجابية ومنتجة أو قاحلة، لكن يبقى الهامش محملا بالموروثات والأساطير والحكايا، وهي أمور يعرفها الروائي الجزائري كمال بركاني وقد ثبتها وكشف عنها في جل ما أصدره من أعمال روائية. في هذا اللقاء مع "العرب" يشرح الروائي هذه التيمات والعلامات والفوارق وما قدمته له من معان أخرى يندر وجودها في متون روائية جزائرية معروفة.

أبوبكر زمال
كاتب جزائري

تختلف نصوص الروائي كمال بركاني عن مثيلاتها في المتن الروائي الجزائري، حيث يكتب بخصوصية نادرا ما تجدها عند غيره، ينحدر من مناطق بربرية، في الأوراس تحديدا معقل الثورة الجزائرية، وقد استثمر هذا العمق وهذا التاريخ المميز وكثف نصوصه به.

يقول الروائي عن نفسه "أنا كاتب منتم، مشبع بثقافة الأوراس المتفردة، حيث أجدادي مروا من هنا، تلك الوجوه البربرية المصطفة في يقين وتكبر، تلك الطقوس العتيقة والأهازيج القديمة، تلك الحلي والثياب، تلك الجبال والبيادر، وأنا مدين جدا لكل الذين مروا من هذا المكان أشعر بفخر حين أكتب عن اختلافهم، ولا أجد فرقا بين الهوية والإنسان، الذي لا يملك خصوصيته، كائن آخر، يتعثر في خطوته وسرعان ما يتلاشى".

البداية لغة

ينظر كمال بركاني إلى اللغة على أساس أنها الأصل في كل شيء فمنها تبدأ كل الأمور وكل الهواجس والرؤى، يقول "إذا كان رولان بارت، يقول: من أين نبدأ؟.. فأنا سأنفذ من اللغة التي أكتب بها، تلك التي تتكاثر وتتناسل، فاسحة المجال لولادات أخرى، تنطلق من المعقول إلى الهوس، ومن الذاكرة إلى الوجع، وتصعد من الأرض إلى السماء، مصدر السكينة والهدوء، ربما في هذا، تختلف نصوصي، قد أزيد أشياء أخرى، ذلك التوظيف المكثف للقرآن الكريم، والتركيز على الأمكنة باعتبارها حاملا ثقافيا وهوياتيا بامتياز".

ويذكر الكاتب أن نصوصه وليدة الأزمة، أو الراهن المرتهن، وصدمة سقوط الدولة القومية، وانحسار اليسار العربي، أزمة السقوط في اللاصوت واللاعقل واللامشروع، وهي نصوص تطرح أسئلة دون أن تجد الأجوبة لذلك، موغلة في الرمزية، خشية القتل الجسدي أو المعنوي، بعضها جدير بالقراءة وبعضها لم يبلغ النضج بعد.

ويضيف "الشعر ميلادي الأول، حينما أكتب الرواية، أفكر شعريا، لذلك تجيء اللغة مترعة بالحنين، موغلة في الرمز والإيحاء والإحالة، لا أؤمن بقارئ كسول، أكتب لقارئ يفترض أن يبذل جهده للشعور بالمتعة وللوصول إلى المعنى، حينما أكتب، تستيقظ داخلي، الذاكرة الشفوية – للشاوية، تمتزج في ذهني الأصوات والأهازيج، الأوشام والألوان، شجر الصفصاف والرمان، يمتد أمامي جسد جدتي فطوم، بكل ما يحمله من رمزية في ضميرنا الجمعي، وتلوح للا كلثوم من أعلى جبل شلية العملاق بكفيها المخضبتين بالحناء البربرية، فتغمرنا السكينة، أشعر حينها بفداحة الحنين لواقع لم يعد موجودا، التعريب أتى على كل خصوصية ثقافية، خرق الانسجام بين الإنسان وذاته".

يقرأ بركاني التاريخ الغابر الذي مر على أرض الجزائر، ويوسعه في نصوصه حتى غدت كفسيفساء متنوعة متداخلة وهي على حد تعبيره "مغرية جدا، الحامل قد لا يعكس حقيقة المحمول أحيانا، ولأن الوطن كان نهبا للغزاة منذ فجر التاريخ، فمن الفينيقيين إلى الفرنسيين، مرورا بالرومان، البيزنطيين، الوندال، هنا أستثني الفتح الإسلامي من قبيل أنه ليس غزوا، رغم بعض ما يسجل من تجاوزات خلاله، والعثمانيين، كل هؤلاء مروا من هنا، واستوطنوا هنا لمئات أو آلاف السنين، تلاقحت الحضارات والثقافات والجينات، لذلك، أنا فسيفساء ثقافية بالمعنى الإيجابي، متعدد الثقافات، زاخر باللغات، وفسيفساء هوياتية بالمعنى السلبي، لست أجزم من أكون؟".

هذا السؤال الأنطولوجي والصعب والخطير عمن يكون يرجع الروائي إلى خيارات الدولة الوطنية ويشير إلى أنها بعد الاستقلال، أزمت الوضع، وجعلت مسألة الهوية أكثر تعقيدا، عوض أن تبني مشروع مجتمع، يعترف بالخصوصية والإثنيات، ويعمل على معالجة الشروخ النفسية الرهيبة التي خلفها الاحتلال الفرنسي في هذه الهوية، لجأت إلى تعريب كل شيء لطمس هذه الخصوصيات، مرعب وموجع جدا، كما يقول بركاني، أن يتم تعريب أسماء الأماكن، الطبونيميا (علم أسماء الأماكن)، حاملة الخصوصية، مذبحة كبرى حدثت، بعيدا عن الفكر والثقافة، رغم ذلك، وبعد أن أتصالح مع ذاتي، سأقول بصوت مرتفع: أنا جزائري أمازيغي اللسان، مسلم، عربي، أفريقي متوسطي.

المركز والهامش

يعتقد الروائي كمال بركاني أن "المركزية جنت على كل الدول الوطنية، أن تمسك كل شيء بيدك، بمعنى أن تبتلع كل شيء، لتتعطل طاقات كبرى، كان يمكن أن تستعملها للإقلاع، مع المركزية، يتمركز الفضاء المفتوح والإعلام والجامعة والأكسجين في العاصمة، تنتعش الحياة هناك، وتبدأ بالموت كلما ابتعدت عنها نحو الهوامش، هذا الهامش يبدع بجمالية عظمى لا يحتفى بها، لذلك المبدع فيه، سرعان ما ينطفئ، لأن صوته لا يصل، أصوات أخرى فيه، هاجرت صوب المركز أو خارج الوطن وهي الآن تصنع بهجة الكتابة".

المركزية، في رأي الروائي الجزائري، نظام لا يضمن تكافؤ الفرص لجميع المواطنين، جريمة عظمى في حق أولئك الذين سقطوا في منتصف الطريق أبدعوا في صمت رهيب، ومضوا في صمت مطبق.

ويأسف بركاني على حال النقد في الجزائر، يقول "نحن لا نملك على مستوى النص مؤسسة نقدية، فباستثناء بعض الأقلام المعدودة، الساحة فقيرة جدا، لست أدري إن كانت الدراسات النقدية تخصص غير مرغوب فيه، أم لأننا شعب لا يملك حسا نقديا أكاديميا بطبعه، حتى الإعلام الثقافي على مستوى الصحف فقد صيته الذي كان يبهر به في ما قبل تسعينات القرن الماضي، كل شيء تم إعادة رسكلته لصالح المال وثقافة الاستهلاك، ببساطة، ثمة خلل كبير في المشروع الثقافي الجزائري، عندما تتخلى الجامعة عن مركزها الإشعاعي، يتوقف كل شيء، قراءات قليلة شرحت نصوصي باحتفائية جليلة، دراسات نقدية أخرى تعرضت لها".

المشهد الجزائري

ويتابع الروائي ما يكتب في الجزائر، ويتلمس نقاط القوة والضعف في المشهد الثقافي، وما يمكن له أن يسهم في الثقافة العربية عموما، فمثلا يرى على مستوى الرواية أنها "أثبتت جدارتها وحضورها المميز على مستوى الوطن العربي، فالجزائري يكتب بقوة وجمالية، بعنف أيضا وقسوة، ولعل ما يميزها أكثر عن غيرها، الزخم الفكري والفلسفي".

ويعدد بركاني بعض المشكلات التي تحول دون التدفق القوي للرواية الجزائرية، منها ما تعلق بـ"مستوى الماركتينغ، صناعة الكتاب وتسويقه، غياب لجان القراءة على مستوى دور النشر التي تحولت إلى دكاكين للبيع، وأغرقت الساحة الأدبية بمنتجات مضرة بالصحة الإبداعية وسلامة الذوق الرفيع، كما أن غياب ثقافة تسويق الكتاب والمرافقة النقدية والتحفيز المادي، حوّل الكتاب الحقيقيين إلى متسولين، ما جعلهم يتوقفون عن الكتابة، لأنها تأخذ كل شيء ولا تبقيك على قيد الحياة، مقابل ذلك، أفرز هذا الواقع المريض كتبة مثل آلات الطبع والنسخ تماما".

كمال بركاني

أكتب لقارئ يفترض أن يبذل جهده للوصول إلى المعنى

وقد يكون الحل، في اعتقاد بركاني، في الدفع بالرواية الجزائرية إلى آفاق أكبر من خلال تشجيع النشر المشترك في الوطن العربي فهو قد "يسهم في إضاءة المدينة ولو بفانوس وحيد، كما أن إيجاد آليات لرفع نسبة المقروئية، مناخ ملائم للرفع من جودة النص، القارئ وتحفيز المؤلف مفتاحا ولوج الحضارة، فالعرب غادروا التاريخ منذ زمن سحيق، نحن يا سيدي مجرد حفريات عتيقة".

كغيره يطرح الروائي كمال بركاني أسئلة كثيرة منذ أن بدأ الشارع يتحرك مطالبا بالحرية والتغيير ويعتبر أن أهم سؤال يجب أن يعاد التفكير فيه هو عن الأدوار الحقيقية التي يجب على المثقف أن يقوم بها.

يقول "هل للمثقف دور في حدوث هذا الحراك؟.. المتابع للحالة الجزائرية، وهي مطابقة لجميع ثورات الربيع العربي، يكتشف ببساطة أن الوعي السياسي صار يصنع خارج الأطر التقليدية؛ الأحزاب والمجتمع المدني والإعلام، أعني في الملاعب والمقاهي الشعبية وشبكات التواصل الاجتماعي، وعليه يجدر بنا أن نعترف بأن المثقف تفاجأ مثل السياسي والإعلامي بهذا الحراك العظيم، جزء من المثقفين انضم إليه عن حب وقناعة، وجزء آخر، كعادته، باق يترصد الغنيمة، المشكلة أن أي حراك أو ثورة شعبية سلمية، إذا لم تؤطر مآلها الفشل، وهذا ما حدث في كل التجارب العربية مع فارق في التجربة التونسية، رغم نقاء الذين يمشون في الشوارع كل جمعة وإخلاصهم، إلا أن ذلك لا يكفي، لأن التنظير والتأطير يبقيان اللقاح الفعال لوقاية الحراك من الاختراق من عدوه أو الاحتراق بنفسه".

ليالي الشعر في تطوان تفتتح سنة 2020 بليلة شعرية جديدة

تطوان (المغرب) – تفتتح دار الشعر بتطوان سنة 2020 بإقامة "ليلة الشعر" الجمعة 24 يناير الجاري، في قاعة الجماعة الحضرية لتطوان، ابتداء من الساعة السادسة مساء.

ويشارك في ليلة الشعر الشاعر والروائي والجامعي محمد الحافظ الروسي والشاعر والمترجم والجامعي مزوار الإدريسي والشاعرة والكاتبة آمال هدازي، بينما يحيي السهرة الفنية هذه الليلة الموسيقي إدريس نيغرا في معزوفات موسيقية أصيلة ومقطوعات غنائية خالدة.

ومحمد الحافظ الروسي هو رئيس مركز ابن أبي الربيع السبتي للدراسات اللغوية والأدبية، التابع للرابطة المحمدية للعلماء، وله مجموعة من الدراسات الأكاديمية في طليعتها كتابه المرجعي عن "ظاهرة الشعر عند حازم القرطاجني"، وله ديوان شعري بعنوان "ما لي لا أرى الهدهد؟" ورواية جديدة بعنوان "نفطستان".

أما مزوار الإدريسي فهو شاعر ومترجم وجامعي مغربي، من أعماله الشعرية ديوان "مرثية المتف البليل" و"بين ماءين"، بينما ترجم العشرات من الكتب والدواوين الشعرية عن الإسبانية. وقد شارك مزوار الإدريسي في العديد من الملتقيات الشعرية الدولية. والأمر نفسه بالنسبة إلى الشاعرة آمال هدازي، صاحبة ديوان "فصول من عشق" وديوان "هديل الغمام" ثم "همس الخطيئة" و"حرف ونصف معنى" و"نكاية بالعتمة".

وتواصل دار الشعر بتطوان الانفتاح على الأسماء الشعرية الهامة في المغرب بلا استثناء، عبر استضافة مختلف أجيال وأشكال الكتابة الشعرية ضمن برنامج "ليالي الشعر" وباقي البرامج الشعرية الأخرى التي أقامتها وتقيمها دار الشعر في تطوان وباقي المدن المغربية. بينما تأتي هذه الليلة الشعرية لتفتتح سنة شعرية تعد بالكثير من التظاهرات والفعاليات، من أمسيات وندوات ولقاءات وورشات ومسابقات شعرية.

هذه الليلة الشعرية تفتتح سنة تعد بالكثير من التظاهرات والفعاليات، من أمسيات وندوات ولقاءات

ستة شعراء جدد في خامس حلقات «شاعر المليون»

أبوظبي – تنطلق مساء الثلاثاء من مسرح "شاطئ الراحة" بأبوظبي خامس حلقات برنامج شاعر المليون، الذي تنظمه لجنة إدارة المهرجانات والبرامج الثقافية والتراثية في أبوظبي، وذلك في إطار استراتيجيتها الثقافية الهادفة لصون التراث وتعزيز الاهتمام بالأدب والشعر العربي، حيث ستشهد الحلقة مشاركة 6 شعراء من 4 دول عربية (الكويت والسعودية والبحرين وسوريا).

وسيتنافس الشعراء الستة، وهم أحمد بن جدعان العازمي من الكويت، وأحمد بن عايد البلوي من السعودية، ومحمد الشريقي من سوريا، ومحمد بشير العنزي من البحرين، ومحمد بن نجر الذيابي من السعودية، ومطلق الجبعاء الدويش من السعودية، في تقديم نصوصهم الشعرية أمام أعضاء لجنة التحكيم المؤلفة من الأستاذ سلطان العميمي والدكتور غسان الحسن والشاعر حمد السعيد.

وكانت الحلقة الماضية من البرنامج قد أسفرت عن تأهل غازي العون السردي من الأردن بنتيجة 45 درجة من 50، بقرار أعضاء لجنة التحكيم، فيما ينتظر بقية شعراء الحلقة وهم: تركي الحبسي من سلطنة عمان، وسالم محمد الملا من الإمارات، وعادل وصل الله الحارثي من السعودية، وعبدالمجيد سعود الغيداني من السعودية، ومحمد حسين الشمري من العراق، إلى حين انتهاء فترة تصويت الجمهور، من خلال موقع وتطبيق شاعر المليون.

وتقدم نتائج التصويت في بداية الحلقة الخامسة، حيث يعلن مقدما البرنامج حسين العامري وأسمهان النقبي عن نتائج التصويت والمتأهلين للمرحلة التالية.

ويُذكر أن عدد الحلقات المباشرة لبرنامج شاعر المليون هي 16 حلقة، ويتم تقسيمها لمراحل عدة، حيث تتم في المرحلة الأولى مشاركة الـ48 شاعرا ضمن ثماني أمسيات يشارك في كل منها 6 شعراء، ويتأهل منهم 3 شعراء بقرار اللجنة وتصويت الجمهور، وصولا إلى المرحلة الثانية والتي تتضمن أربع حلقات يشارك في كل منها أيضا ستة شعراء ليتأهل في نهايتها 12 شاعرا، والمرحلة الثالثة تضم 12 شاعرا يتم تقسيمهم على أمسيتين يتأهل في نهاية كل أمسية 3 شعراء.

شعراء من أربع دول خليجية وعربية في خامس حلقات «شاعر المليون» على مسرح شاطئ الراحة في أبوظبي

أما المرحلة الرابعة (الأمسية نصف النهائية)، فيقدم الشعراء قصائدهم أمام لجنة التحكيم ويتم إعطاؤهم درجات من 30 بالمئة دون استبعاد أي أحد، ومن ثم ينتقلون إلى مرحلة التصويت التي تستمر لمدة أسبوع ولها 40 بالمئة، وفي المرحلة الخامسة (الأمسية النهائية) يعود الشعراء الستة ليقدموا روائعهم الشعرية أمام لجنة التحكيم التي تمنحهم درجات من 30 بالمئة، ومع ختام الأمسية الأخيرة يتم جمع درجات لجنة التحكيم التراكمية لآخر أمسيتين بمجموع (60 بالمئة)، بالإضافة إلى نسبة تصويت الجمهور (40 بالمئة)، ليتم ترتيب الفائزين من الأول إلى السادس.

الشعراء ينتظرون ما سيعلنه مقدما البرنامج